مَنْ هُمْ
أَسْلَافُ الحَدَّادِيَّةِ الغُلاة؟!

كَتَبَهُ

أبو معاذ رائد آل طاهر

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

مَنْ هُمْ أَسْلَافُ الحَدَّادِيَّةِ الغُلَاةِ؟!

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدِّين؛ أما بعد:

فلا بد أن تعلموا بارك الله فيكم أنَّ القطبية هم أفراخ الخوارج، وأنَّ السرورية الحوالية هم أفراخ القطبية، وأنَّ الحدادية الغلاة هم أفراخ الحوالية، وبهذا نعرف أسلاف الحدادية وأصولهم، وإليكم بيان ذلك بالتفصيل:

الخوارج الأوائل كانت قضيتهم كما لا يخفى على أحد تدور حول مسألة "الحكم" وتكفير الحاكم الذي يحكم بغير ما أنزل الله مطلقاً من دون تفصيل، وكفَّروا عثمان رضي الله عنه بسبب بعض الاجتهادات، وكفَّروا علياً ومعاوية وكافة الصحابة لأنهم رضوا بتحكيم الحكمين وإنهاء الفتنة بالصلح بين الفئتين المؤمنتين.

وجاء سيد قطب بعد قرون طوال وأعاد منهج الخوارج جذعاً، وجعل "الحاكمية" هي أخص خصائص الألوهية، وفسَّر "لا إله إلا الله" بلا حكم إلا لله، وفسَّر الربوبية بالحاكمية، وجعل الصراع بين المرسلين وأقوامهم حول الحاكمية، وكفَّر الحكام الذين لا يحكمون بشريعة الإسلام، وعرَّف التوحيد بأنه الثورةُ الشاملة على حكَّام الأرض، وكفَّر الشعوب والمجتمعات بدعوى الجاهلية ولأنها رضيت بهؤلاء الحكام ولم يخرجوا عليهم، وكفَّر المساجد وأهل

الصلاة وجعلها معابد جاهلية لأنهم لم يفهموا معنى لا إله إلا الله كما فهمه هو، وحكم على أهل الأرض بالردة من قرون عدة بدعوى أنهم يرددون كلمة التوحيد ولا يفهمون معناها ولا يعملون بمقتضاها وهي الحاكمية في نظره، بل زاد على منهج الخوارج فبنى أحكام الردة والجاهلية على عادات وتقاليد وأمور من المباحات!!.

ثم جاء بعده أصحابه الذين ساروا على طريقته في التكفير والحكم بالردة على الحكام المعاصرين والحكم بالإرجاء وغلاة الجهمية على العلماء المعاصرين كالأئمة الثلاثة واتهامهم بأنهم علماء السلاطين أو عبيدهم أو عملاؤهم أو بأنهم مداهنون أو منافقون أو مجنَّدون من قبل طواغيت العصر ومنهم من حكم عليهم بالردة، ومن أمثال هؤلاء: عبد الله عزَّام وعبدالقادر عبدالعزيز وأبو محمد المقدسي وأبو قتادة الفلسطيني وأبو بصير عبدالمنعم مصطفى حليمة وأبو عبيدة عبدالكريم الشاذلي ومحمد بو النيت المراكشي وأيمن الظواهري وأسامة بن لادن...إلى آخرهم.

وكل هؤلاء يدندنون حول اتهام العلماء المعاصرين بفرية الإرجاء في رسائلهم، بل منهم من يغمز الأئمة المتقدمين بالتناقض والخطأ والقصور والإرجاء أحياناً.

ثم جاء دور محمد قطب الذي نظَّر لهذا الفكر التكفيري وأدخله في بعض الجامعات السلفية على حين غفلة، وزعم أنَّ سبب تسلُّط هؤلاء الحكام وتنحية

الشريعة من الحكم والخنوع إلى العلمانية: هو الفكر الصوفي الانهزامي والفكر الإرجائي التبريري، وألَّف في تفصيل ذلك كتابه "واقعنا المعاصر"، وأكثر فيه من تسليط الضوء على الفكر الإرجائي، واتهم الأمة في هذا العصر تارة بالجاهلية وتارة بالإرجاء، بدعوى أنها لم تعمل بما تقتضيه كلمة "لا إله إلا الله"، ومقتضاها هو ما فهمه أخوه منها وهي الحاكمية، وزعم أنَّ أخاه قام بأفضل نوع من أنواع التربية مع أصحابه من الإخوان المسلمين في هذا العصر لكنه لم يكمل لأنَّ الأجل توفاه.

قال محمد قطب في "واقعنا المعاصر": ((إنَّ الذين يقولون: ربينا بما فيه الكفاية، يغفلون عن حقائق كثيرة واقعة في الساحة، ربما كان أفضل لون من التربية قام في الساحة حتى اليوم هو الذي قام به الإمام الشهيد بين "الإخوان العاملين" الذين رباهم على عينه، وأفضل جوانب هذه التربية هو الأخوة المتينة التي رباها في أتباعه، والروح الفدائية الصادقة التي طبعهم بها، والجندية الملتزمة التي زرعها في نفوسهم، ثم تحرير لا إله إلا الله في حسهم من تواكل الصوفية وتواكل الفكر الإرجائي، وتحويلها في سلوكهم إلى حركة واقعية وعمل، ولكنا رأينا كم من الجوانب كان ينقص هذه التربية ذات الطابع الأصيل العميق، وكم أثَّر هذا النقص في خطوات العمل الإسلامي بعد مقتل الإمام الشهيد بصفة خاصة، ولا ندري كم من هذه الجوانب كان الإمام الشهيد قمينا بإضافته أو تصحيحه لو امتد به العمر)).

ثم جاء دور السرورية وزعيمهم محمد سرور زين العابدين ومحمد المسعري وسعد الفقيه وعبدالرحمن عبدالخالق ودور جمعية إحياء التراث وفروعها ودور سفر الحوالي وسلمان العودة ومحمد أبو رحيم، فحاول هؤلاء السروريون أن يجمعوا بين عقيدة سيد قطب في التكفير وشرك الحكم والقصور والنظرة إلى المجتمعات المعاصرة وبين ما أخذوه من المشايخ السلفيين من أهمية توحيد الألوهية والتحذير من شرك العبادة والقبور، ولكنهم في مآلهم رجعوا إلى إحياء الفكر القطبي وتكفير الحكام المعاصرين واتهام العلماء بالإرجاء والمداهنة والعمالة وعبيد السلطان.

وكان من أبرز هؤلاء السروريين دوراً في إثارة تهمة الإرجاء واتهام العلماء بذلك: هو سفر الحوالي، وقد أخذ هذا الفكر التكفيري من أستاذه محمد قطب، والذي ثمَّن جهوده في رسالته "العلمانية" قائلاً: ((وكان من هؤلاء الرجال: الشيخ الفاضل محمد أمين المصري رحمه الله "الرئيس السابق لقسم الدراسات العليا بكيلة الشريعة بمكة المكرمة" الذي بذل جهده لإدخال مادة "المذاهب الفكرية" ضمن برنامج الدراسات العليا لفرع العقيدة، وكان من توفيق الله تعالى أن عهد بتدريس هذه المادة إلى علم من أعلام الفكر الإسلامي المعاصر، هو الأستاذ "محمد قطب" حفظه الله، وكان من توفيقه سبحانه لكاتب هذا البحث أن يلتحق بفرع العقيدة، وأن يختار رسالته لنيل درجة التخصص الأولى "الماجستير" في هذه المادة وعلى يد ذلك الأستاذ... إلى أن قال: وقد عرفتُ منذ

اللحظة الأولى أن مهمتي ليست بيسيرة، وأن عليَّ أن أخوض في ميادين بعيدة عن مجال دراستي الشرعية البحتة، جاعلاً كل قراءاتي السابقة في الفكر الغربي بمثابة التمهيد فقط لما يجب علي أن أنهض به، وفعلاً خصصتُ نصف المدة المحددة للرسالة تقريباً في اطلاع دائب وقراءة متواصلة، مسترشداً بالتوجيهات القيمة والآراء السديدة التي كان أُستاذي الفاضل يزودني بها باستمرار، فاطلعتُ على أمهات النظريات والاتجاهات في السياسة والاقتصاد والعلم والاجتماع والأدب والفن)).

وقال في مقدِّمة رسالته "ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي": ((هذا ولا يفوتني أن أتقدَّم بخالص الشكر وعظيم التقدير إلى أستاذي الكريم الأستاذ محمد قطب؛ الذي بذل من الوقت الثمين والرأي الصائب ما كان له أثره البالغ في إنجاز هذه الرسالة وتقويمها)).

وما كتبه سفر الحوالي من رسالتيه "العلمانية" و"ظاهرة الإرجاء" إنما كان باختيار مدروس ومخطط له من قبل أستاذه، فرسالة العلمانية الغاية منها تكفير الحكام الذين يحكمون بغير ما أنزل الله من غير تفصيل، قال الحوالي فيها: ((إنَّ العلمانية تعني بداهة: الحكم بغير ما أنزل الله، فهذا هو معنى قيام الحياة على غير الدين، ومن ثم فهي بالبديهة أيضاً: نظام جاهلي لا مكان لمعتقده في دائرة الإسلام، بل هو كافر بنص القرآن الكريم: "وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ"))، ووصف سفر الحوالي الأمة في رسالته "العلمانية" بالجاهلية،

واتهم الأمة بالكامل أو شبه الكامل بأنها لم تفهم مدلول لا إله إلا الله أيضاً فقال في بداية مقدمة العلمانية: ((ثم أخذ شأن الأمة الإسلامية في الانحطاط وحضارتها في الذبول، وفقدت شيئاً فشيئاً مركزها المرموق ومنزلتها السامية، ولم يكن لذلك من سبب إلا أن نور "لا إله إلا الله" قد خفت، ومقتضياتها قد أهملت، ومدلولاتها قد انحسرت، ولما كانت كلمة "لا إله إلا الله" هي روح هذه الأمة وسر وجودها ومنبع حياتها، فإنها ظلت تفقد من ذاتيتها وأصالتها بمقدار ما تفقد من نور هذه الكلمة العظيمة، حتى آل الأمر في العصور الأخيرة إلى الفقدان الكامل أو شبه الكامل))، وعاد الحوالي بتفسير التوحيد والشرك إلى الحكم من جديد بطريقة اللف والدوران فقال: ((وعلى هذا نستطيع القول: بأنَّ الشرك -ذنب البشرية الأكبر ومدار الصراع بين الأمم والرسل- هو عبادة الطاغوت مع الله أو من دونه في أمرين متلازمين: "الإرادة والقصد" و"الطاعة والاتباع".

أما شرك الإرادة والقصد: فهو التوجه إلى غير الله تعالى بشيء من شعائر التعبد؛ كالصلاة والقرابين والنذور والدعاء والاستغاثة تبعاً للسذاجة الجاهلية القائلة: "مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى"، وطاغوت هذا النوع هو الصنم أو الوثن أو الجني أو الطوطم ... إلخ.

وأما شرك الطاعة والاتباع: فهو التمرد على شرع الله تعالى وعدم تحكيمه في شئون الحياة بعضها أو كلها، وهو مفرق الطريق بين الإسلام والجاهلية، كما

أنه السمة المشتركة بين الجاهليات كلها على مدار التاريخ، وبه استحقت أن تسمى جاهلية مهما بلغ شأنها في الحضارة والمعرفة: "أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ"، "أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ"، وطاغوت هذا النوع هو الزعماء والكهان والكبراء والأنظمة والأوضاع والتقاليد والأعراف والقوانين والدساتير والأهواء ... إلخ.

والواقع أنَّ كلا النوعين من الشرك مردهما إلى أصل واحد: وهو تحكيم غير الله والتلقي عنه، فإنَّ مقتضى تحكيمه وحده ألا تتوجه البشرية إلى غيره بأي نوع من أنواع العبادة والقربات، وألا تتوجه وتسير في حياتها كلها إلا وفق ما شرع لها في كتبه وعلى لسان رسله، قال تعالى: "إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ"، فرد الأمر كله إلى الله واتخاذه وحده حكماً في كل شيء هو بعينه العبادة التي أمر الله ألا يصرف شيء منها لغيره، وهذا هو ذات الدين القيم الذي لا يرضى الله تعالى سواه، وإن جهله أكثر الناس على مدار التاريخ.

إذا تقرر هذا: فكل ما يجابه هذه الحقيقة أو جزءاً منها فهو طاغوت؛ في أي صورة كان، وفي أي عصر ظهر، ولا يكون الإنسان فرداً أو مجتمعاً شاهداً ألاَّ إله إلا الله حقيقة إلا بالكفر بهذا الطاغوت والبراءة منه وأهله.

من أجل ذلك: كان العربي الذي يقول هذه الكلمة على عهد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينخلع عن الجاهلية انخلاعاً تاماً، وينسلخ من كل أعرافها

وأوضاعها وقيمها وموازينها وإيحاءاتها وينضم إلى موكب الإيمان وهو متجرد لله منقاد لأوامره بلا تردد أو استثناء)).

وقد بيَّن سفر الحوالي أنَّ السبب الذي يعود إلى انتشار العلمانية في الأمة الإسلامية هو الفكر الإرجائي، ولهذا اختار موضوع الإرجاء في رسالة الدكتوراه، وقد قال في مقدمة "ظاهرة الإرجاء": ((وقد بدأتُ ذلك برسالة "التخصص الأولى" التي كان موضوعها "العلمانية: نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية"، ثم ثنيتُ بهذه الرسالة لنيل درجة التخصص العليا، فكانت الأولى: تعالج فصل الدين عن الحياة، والأخرى تعالج فصل الإيمان عن العمل، كلتاهما على ضوء هذه العقيدة، ومن هنا كانتا تعبران عن قضية واحدة وإن تباعد موضوعاهما ظاهراً، وقد كانت الأولى بلا ريب طريقاً للأخرى؛ فمن خلال الدراسة لأسباب العلمانية الطاغية على الحياة الإسلامية المعاصرة رأيتُ رأي العين أنَّ سبب كل انحراف وذل وهزيمة وفرقة في حياتنا لا يزيد عن شيء واحد هو البعد عن منهج أهل السنة والجماعة في العقيدة والسلوك وسبيل الإصلاح)).

وقد حكم سفر الحوالي على عموم الأمة بالإرجاء فقال في مقدمة رسالته:

((ومن هنا انصب الاهتمام على "ركن العمل" وضرورته للإيمان والدعوة، وكيف تخلت الأمة عنه مكتفية من الإيمان بالاسم والإقرار.

وهنا لا بد من بيان حقيقة مهمة كان لها أثرها البالغ في منهج البحث: وهي أنَّ الإرجاء لم يكن -في الأصل- دعوة واعية مقصودة لترك العمل والتفلت من الطاعات، وإنما كان تفسيراً ضالاً لحقيقة الإيمان أنتجته أسباب تاريخية شرحناها في موضعها.

ولكن الأمة وهي تتراخى عن العمل بالتدريج وتنفلت من الواجبات وتنحدر عن قمة الامتثال رويداً رويداً فكانت تجد في الإرجاء تفسيراً مريحاً يبرر لها تراخيها وتفريطها، وهذه حقيقة نفسية معروفة؛ فكل ما انحسر عنه العمل واقعياً ستره ثوب الإرجاء الواسع نظرياً.

ولهذا لم يكن المرجئة القدماء بحاجة إلى أكثر من كشف شبهاتهم النظرية وردهم بالدليل العلمي الصريح، ولكن الحال تغير بعد انتشار الظاهرة وسيطرتها؛ إذ أصبحت الأمة في القرون الأخيرة تتبنى الإرجاء عقيدة ومنهجاً، وتعد مخالفه خارجاً مارقاً، وتضبط دينها وأحكام إيمانها بأصوله وقواعده.

فصارت تعتقد أنَّ التصديق القلبي المجرد من قول اللسان وعمل الأركان هو حقيقة الإيمان الذي أنزل به الله الكتب وبعث به الرسل وجعله مناط النجاة من عذابه في الآخرة، وتبني على ذلك لوازم وأحكاماً، أهونها تخطئه السلف في إجماعهم على أنه قول وعمل وعدم تكفير طوائف من المرتدين، وأصبح معنى كون الصلاة والزكاة والصيام والحج أركاناً للإسلام هو اعتقاد وجوبها والإقرار

به وإن لم يعمل من ذلك شيئاً، ونحو ذلك مما يستغربه الناظر أول وهلة، ثم يتأمل فإذا هو عندهم حقيقة واقعة.

والأدهى من ذلك أن تقوم بعض اتجاهات الدعوة الإسلامية -التي عملها وغرضها في الأصل إعادة الناس إلى حقيقة الإيمان اعتقاداً وعملاً- على هذا الفكر العقيم، وتتبناه وتدعوا إليه)).

وقد أفصح سفر الحوالي عن نقطة البحث التي يسعى الوصول إليها في رسالته "ظاهرة الإرجاء"، والتي بسببها اتهم الأمة وعلماءها سلفاً وخلفاً بالإرجاء فقال في مقدمة الرسالة: ((والباب الخامس: بيان أنَّ الإيمان حقيقة مركبة من ركني القول والعمل، توصلاً بذلك إلى معرفة بطلان مذهب في حكم تارك العمل مطلقاً، وبيان حكم صاحب الكبيرة على ضوء ذلك، وسبب ضلال الفرق فيه، ثم نقض أهم الشبهات النقلية للمرجئة على أنَّ العمل غير داخل في الإيمان))، وقال في [الباب الخامس: الإيمان حقيقة مركبة، وترك جنس العمل كفر]: ((وبهذا يتبين لطالب الحق: أنَّ تركَ الأركان الأربعة وسائر عمل الجوارح كفرٌ ظاهراً وباطناً؛ لأنه تركٌ لجنسِ العملِ الذي هو ركنُ الحقيقة المركبة للإيمان؛ التي لا وجود لها إلا به، هذا مما لا يجوز الخلاف فيه، ومن خالف فيه فقد دخلت عليه شبهة المرجئة شعر أو لم يشعر)).

وقال [٢/ ٤١٩]: ((بل مذهب السلف: أنَّ تارك العمل بالكلية كافر؛ إذ انعقد إجماع الصحابة عليهم رضوان الله على تكفير تارك الصلاة، ولم يخالف في

ذلك أحد، حتى ظهرت المرجئة، وتأثر بها بعض أتباع الفقهاء الآخرين دون علم بأنَّ مصدر الشبهة وأساسها هو: الإرجاء)).

وذكر سفر الحوالي في باب [حقيقة الإيمان وارتباط العمل به/ المبحث الأول: ارتباط العمل بحقيقة الدين والدعوة ٢/ ٩٦] عدة أسئلة حول موضوع ارتباط العمل بالإيمان ثم قال: ((وقد وجدتُ أنَّ أفضل من أجاب على هذه الأسئلة من فقهاء الدعوة المعاصرين هو: الأستاذ سيد قطب رحمه الله!، وهأنذا أنقل من كلامه ما يفيد ذلك؛ مع بعض زيادات توضيحية)).

وصرَّح الحوالي مراراً باتهام الشيخ الألباني رحمه الله بالإرجاء لأنه لا يكفِّر تارك العمل ولأنه يعتقد أنَّ أعمال الجوارح من كمال الإيمان ولأنه لا يكفِّر الحاكم بغير ما أنزل الله إلا إذا جحد أو استحل، فقال في حاشية "ظاهرة الإرجاء": ((والمؤسِف للغاية: أنَّ بعضَ علماء الحديث المعاصرين الملتزمين بمنهج السلف الصالح قد تبعوا هؤلاء المرجئة في القول بأنَّ الأعمال شرط كمال فقط!، ونسبوا ذلك إلى أهل السنة والجماعة، كما فعل أولئك الذين ذكرنا بعضهم أعلاه، ولا أدري كيف يوافقون هؤلاء في هذه المسألة العظيمة من مسائل العقيدة التي جاء بيانها في الكتاب والسنة وإجماع السلف كما تقدم، وتظافرت عبارات السلف على ذمٍّ من خالف فيها ووصفه بالبدعة والضلال كما أسلفنا، وهم من ذلك ينفرون منه أشد النفور، بل ربما حرصوا على مخالفتهم في أمور أهون من هذه بكثير، بل ليست من مسائل الاعتقاد أصلاً، وإذا كان مثل هذا

يغتفر للعالم المجتهد الكبير ويضيع في بحر حسناته وفضائله، فإنه لا يغتفر للذين يقلدونه في ذلك من طلبة العلم، هداني الله وإياهم للصواب، انظر: رسالة حكم تارك الصلاة المنسوبة للشيخ الألباني ص٤٢)).

وقال في الحاشية أيضاً: ((والمؤسِفُ مع هذا: أنَّ الشيخ الألباني حفظه الله أخذ بكلام أهل الإرجاء المحض من غير تفصيل؛ حيث جعل التارك الكلي مؤمناً من أهل الشفاعة، وركَّبَ رسالته كُلَّها على هذا)).

وقال: ((وهذا قِسمٌ آخر غير ما يسميه بعض الفقهاء الكفر العملي ويقصدون به الأصغر فقط، فيجب التنبه لهذا، لأنَّ الخلط بينهما قد يؤدِّي إلى الظنِّ بأنَّ كفر العمل كله لا يخرج من الملة، وهذا هو حقيقة مذهب المرجئة كما رأيت، ومن ذلك ما وقع للشيخ الألباني كما في رسالة "حكم تارك الصلاة" ص٤٢-٤٤)).

ثم عمم سفر الحوالي الحكم بالإرجاء والبدعة ومخالفة الإجماع على كل من خالف في تكفير أحد المباني الأربعة فقال: ((مَنْ خالف في تكفير تارك أحد المباني الأربعة -ولا سيما الصلاة- لا ينبغي الاعتداد بخلافه!، بعد ثبوت الإجماع من الصحابة رضي الله عنهم في تكفير تارك الصلاة والزكاة، وما أشرنا إليه بالنسبة للصيام والحج، فمع كثرة المخالفين من المتأخرين لم يستطع أحدٌ منهم الإتيان بنقل ثابت صريح عن صحابي أو تابعي يخالف ذلك، وذلك أنَّ أول مَنْ قال به هم المرجئة!، ثم تبعهم من تبعهم!، ومتى عرف المرء ذلك؛ تبين له: أنَّ هذا

القول خارج عن أقوال أهل الاجتهاد إلى أهل البدع؛ وإنْ لم يكن كل مَنْ قال به من أهل البدع)).

بل لم يعتبر الحوالي تكفير تارك أحد المباني الأربعة من المسائل الخلافية وغلَّط كلَّ من قال بأنَّ السلف اختلفوا في ذلك؛ فقال: ((وهكذا فإطلاق القول بتكفير تارك الصلاة أو الزكاة أو الصوم أو الحج صحيح موافق لقاعدة أهل السنة في الإيمان كل الموافقة؛ وهو ليس من جنس تسمية بعض العصاة كفاراً وتسمية بعض المعاصي كفراً، والقول بأنَّ المسألة خلافية هكذا بإطلاق غير صحيح، إلا أن يراد عموم الأمة لا خصوص السلف ومن اتبعهم)).

ولما ضرب الأئمة الثلاثة وغيرهم من كبار العلماء والمشايخ في هذا العصر القطبية والسرورية والحوالية بقوس واحد ونكَّلوا بهم وحذَّروا منهم في بياناتهم ورسائلهم ومجالسهم، خفت صوتهم مدة من الزمن، وارتاح السلفيون من شرهم، لكنَّ هذا الصوت عاد بلسان جديد وهو المدعو محمود الحداد المصري.

جاء محمود الحداد من مصر إلى معقل التوحيد والسنة لإثارة الفتنة بين السلفيين ولقطع الصلة الوثيقة بين العلماء الربانيين وبين الشباب السلفي، كما جاء قبله محمد قطب وقبله محمد الغزالي، فهؤلاء خرجوا من مصر معقل الإخوان المسلمين إلى معقل التوحيد والسلفيين لإفساد عقائد الشباب وقطع علاقتهم وارتباطهم بالعلماء.

ولم يلتق هذا المتعالم محمود الحداد بعالم من علماء العصر كالشيخ الألباني والشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين والشيخ النجمي والشيخ محمد أمان الجامي والشيخ الفوزان والشيخ اللحيدان وغيرهم من كبار المشايخ، بل انطوى على نفسه وتظاهر بالسلفية والعلم والتفَّ حوله بعض الأغمار من الشباب، ومن أكثر المسائل التي كان الحداد يثيرها أخطاء الشيخ الألباني رحمه الله في العقيدة وغيرها، وألَّف كتاباً ضخماً في ذلك سماه "الخميس" أي الجيش العرمرم الزاحف!، وزعم في بعض كتبه أنَّ ((عامة المسلمين من زمن على الإرجاء))، واتهم الإمام البربهاري رحمه الله بتهمة الإرجاء صريحاً، واتهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بتهوين شأن الإرجاء لأنه عد الخلاف مع مرجئة الفقهاء أكثره لفظي.

وقد قال الشيخ ربيع حفظه الله في كتابه "طعونات الحداد": ((طعن فيه بأنَّ قوله هذا تهوين من شأن الإرجاء، وما أدراك ما نظرة القطبيين والتكفيريين إلى الإرجاء؟! إنها أخطر البدع عندهم، وعلى رأسهم محمد قطب الذي يهذي به كثيراً لينال من أهل السنة، ويرى أنه لا يقل عن العلمانية إن لم يكن شراً منها، وما رأيتُ أحداً يزيد على محمد قطب في الهذيان بالإرجاء إلا الحداد الماكر، وكم مرة ذكره في هذا الكتاب، وكم مرة ذكره في غيره، ليطعن به الأبرياء منه، وقد وصم عامة الناس بالإرجاء الغالي في أول كتاب "عقيدة أبي حاتم وأبي زرعة"، فوصفهم بأنهم ظنوا أنَّ الإسلام يجبُّ ويهدم كل شرك أو بدعة تخالطه، فما يضر

المسلم مع الإسلام معصية ولو كانت الشرك أو الضلال أو الفسوق، وهذا الإرجاء الذي فشا فيهم، فالإرجاء أنواع شرها هذا الذي ذكره، بل غلاة المرجئة يقولون: لا ينفع مع الكفر طاعة، ويحمل الحداد حملات شعواء على مرجئة الفقهاء موهماً أنهم قد ارتكبوا شر أنواع الإرجاء، وبعد هذا التهويل بالإرجاء يأتي إلى شيخ الإسلام ابن تيمية فيطعن فيه بأنه يهون من الإرجاء؛ أي هذا الإرجاء الذي يحذر وينذر من خطره الحداد الناصح الأمين!، فأين ابن تيمية المهوِّن من هذه الجريمة الكبيرة التي يرى المنغمسون فيها أنه لا يضر مع الإسلام ذنب ولو كان الشرك أو الفسوق من الحداد الناصح الأمين والنذير العريان؟!)).

وطعن الحداد بالطحاوية وشارحها ابن أبي العز ومن يوصي بهما من العلماء المعاصرين بدعوى أنَّ فيهما بلايا عظيمة وإرجاء وتجهماً وعلم الكلام ولِيناً، علماً أنَّ شرح الطحاوية أغلبه مأخوذ من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهم الله كما لا يخفى على طالب علم!، وقد تكلَّم الحداد في مشايخ المدينة ولم يُعلم عنه الكلام في القطبية والسرورية ولا في زعيمهم سيد قطب، بل بلغ به الأمر أن يطعن بعلماء بلاد الحرمين في وقت أزمة الخليج ويصفهم بعلماء السوء وعبيد السلطة، وكان مما يقرره الحداد أيضاً عدم التفريق بين المبتدع الداعي إلى بدعته وبين غير الداعي كما لا يفرِّق بين المبتدع كسيد قطب وأمثاله وبين من وقع في بدعة من العلماء المشهود لهم بالخير ولهم جهود

كبيرة في الانتصار للسنة والرد على البدع ونشر العلم الموروث عن السلف الصالح كالشوكاني وابن حجر وأمثالهم، وكان لا يجيز الترحم على هؤلاء العلماء الذين وقعوا في شيء من البدع ويحذِّر منهم ومن كتبهم.

وكان ممن يدفع بالحداد في إثارة هذه الفتنة ويروِّج فكره ويجادل عنه: المدعو عبد اللطيف باشميل، لكنه لما رأى أنَّ علماء بلاد الحرمين تنبهوا لخطر الحداد وفكره على الشباب السلفي، وحذَّروا منه وأُخرج من بلاد الحرمين أصبح باشميل يتبرأ من الحداد ويطعن به ويصفه بالمكر والخبث والانحراف، لكنه لم يتبرأ من طريقته في الغلو في التكفير والتبديع، بل حمل رايته من بعده، وأظهر الطعونات في الشيخ الألباني رحمه الله في عقيدته وسلفيته وجهوده العلمية وفي مسائل اجتهادية في كتاب سماه "الفتح الرباني في الردِّ على أخطاء دعوة الألباني".

وزعم باشميل أنَّ الشيخ الألباني يختلف عن عقيدة مشايخ بلاد الحرمين من جهة العذر بالجهل وعدم تكفير من وقع في الشرك الأكبر حتى تقام عليه الحجة وعدم تكفير ساب الله والرسول وتقرير مسائل الإيمان والعمل مثل الكفر الاعتقادي والكفر العملي وشرط الاستحلال والجحود، واستغل الباشميل أزمة الخليج وموقف الشيخ الألباني منها في ترويج طعوناته فيه، كما زعم أنَّ مشايخ المدينة مقلِّدة للشيخ الألباني ومتعصبة له يقررون ما يقرره ولا

يقبلون نقده وتخطئته، وأنهم منظمة سرية الغاية منها صرف الناس في بلاد الحرمين عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وأئمة الدعوة من بعده.

وقد أشاع باشميل الكذب والأباطيل واستعمل أساليب المكر والخديعة في الطعن في الشيخ ربيع حفظه الله والتنفير منه، وقد التفَّ حوله جماعة من الشباب الأغمار، وقد قام بعضهم بحرق كتاب فتح الباري لابن حجر رحمه الله، ومنهم من اتهم الألباني بالتجهم والإرجاء والبدعة؛ بل منهم من صرَّح بكفره، فلما ظهر أمر هؤلاء وانتشر خبرهم عند كبار العلماء حذَّروا منهم ومن غلوهم في التبديع والتكفير، ومن أبرز هؤلاء العلماء الذين ردوا على عبداللطيف باشميل وحزبه الشيخ ربيع حفظه الله، فخمد ذكرهم وانطوت صفحتهم.

ثم جاء بعد هؤلاء: فالح الحربي وفوزي البحريني وزمرتهم الآثمة الفاجرة فأحيوا فكر الحوالي والحداد وباشميل جميعاً من جديد، وأثاروا عين المسائل التي دندن حولها أولئك في التكفير أو التبديع، كمسألة تكفير تارك جنس العمل والعذر بالجهل وساب الله والرسول وشرط الكمال والصحة وغيرها، ومسألة عدم التفريق بين المبتدع وبين من وقع في البدعة من العلماء المشهود لهم بالخير والعلم والفضل ومسألة عدم التفريق بين المبتدع وبين الداعي إلى بدعته، وأحدثوا زيادة على ذلك أصولاً فاسدة في الجرح والتجريح لا دليل عليها ولا أثارة من علم، وفتحوا موقعاً لهم باسم "الأثري"، يشرف عليه ويكتب فيه الغلاة من سفهاء الأحلام وصغار الأسنان، وقد رموا المخالفين لهم

من السلفيين الصادقين بالإرجاء والتجهم والتمييع، وطعنوا في عقيدة الشيخ الألباني رحمه الله وغيره من علماء العصر ومشايخ السنة، وغمزوا بكبار العلماء، وأثاروا حرباً ضروساً مبنية على الكذب والتلبيس ضد الشيخ ربيع حفظه الله، وتنبَّه كثيرٌ من المشايخ لفتنهم وحذَّروا منهم، فتبدد شرهم واستراح السلفيون من فتنتهم وجدالهم المقيت.

ثم جاء بعد هؤلاء: الحدادية الجدد من أمثال عبد الله الجربوع وملفي الصاعدي وأحمد بن عمر الحازمي وعادل آل حمدان وعبد الله الغامدي وعبدالحميد الجهني وبدر بن طامي، وكل من يتهم الشيخ الألباني رحمه الله والشيخ ربيعاً حفظه الله والمشايخ وطلبة العلم السلفيين بالإرجاء أو موافقة المرجئة؛ ويطعن في العلماء الذين يخالفونه في مسألة تكفير تارك العمل وتارك الصلاة ومن يحكم بالقوانين الوضعية وعدم العذر بالجهل، ويتهمهم بالإرجاء ومخالفة إجماع السلف، ويشكِّك في عقيدتهم ويحذِّر منهم وينفِّر عنهم، وهؤلاء لهم موقع خاص بهم لا يطرحون فيه في الغالب إلا هذه المسائل، ولا يحذِّرون فيه أو يردون إلا على السلفيين من مشايخ وطلبة علم يُسمى هذا الموقع بـ (الآفاق).

أقول بعد هذا السرد:

هذه هي سلسلة هؤلاء الحدادية الجدد، وأولئك هم أسلافهم، ومن تتبع مقالات الحدادية الجدد في مسائل الإيمان والكفر لا يجدها تختلف عن رسائل ومقالات الحدادية الأوائل كمحمود الحداد وعبداللطيف باشميل وفالح الحربي

وفوزي البحريني في موقعهم الأثري، ولا تختلف عن تقريرات سفر الحوالي في كتابه "ظاهرة الإرجاء" ومحمد أبو رحيم في كتابيه "حقيقة الخلاف بين السلفية الشرعية وأدعيائها في مسائل الإيمان" و"حقيقة الإيمان عند الشيخ الألباني"، ولا عن كتابات محمد قطب في "واقعنا المعاصر" و"مذاهب فكرية معاصرة" و"جاهلية القرن العشرين"، ولا عن تأصيلات عبد القادر عبد العزيز في "الجامع في طلب العلم الشريف"، وأبي محمد المقدسي عصام البرقاوي في "تبصير العقلاء بتلبيسات أهل التجهم والإرجاء"، وأبي بصير عبد المنعم مصطفى حليمة في "الإنتصار لأهل التوحيد والرد على من جادل عن الطواغيت"، وعبدالكريم الشاذلي في كتابه "الشيخ الألباني بين القول بالإرجاء والانتصار لمن بدل شرع الله من المرتدين"، ومحمد بو النيت المراكشي في "عقيدة أدعياء السلفية في ميزان أهل السنة والجماعة"، وهذه الكتابات لا تختلف عن صرخات سيد قطب في مجمل كتاباته التي تضج بالتكفير والكلام في الحاكمية.

وهذا كله يؤكِّد ما قاله الشيخ ربيع حفظه الله في هؤلاء؛ وأنهم من إفرازات الخوارج القطبية الحوالية الحدادية، وكل هؤلاء اتفقوا على أمرين:

الأول: تكفير المسلم الموحِّد بمجرد ترك العمل وفعل الكبائر والحكم عليه بالخلود وعدم نيل الشفاعة.

والثاني: الطعن في ولاة الأمر المعاصرين من الحكام والعلماء.

وبعض هؤلاء أشد من بعض وأصرح في التكفير، وبعضهم في أول الطريق.

نسأل الله عزَّ وجلَّ أن يبصِّرنا بهذا المنهج الضال وأن يجنبنا شبهات أصحابه الملبسين.

والله الموفِّق.

كتبه

أبو معاذ رائد آل طاهر

٢٩ رجب ١٤٣٦هـ